مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 778-804
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الحداثة والوعي التاريخي في فكر عبد الله العروي

Modernity and historical awareness in the thought of Abdullah Laroui

كرطالي نور الدين ♦

مخبر بحث فلسفة علوم وتنمية بالجزائر – جامعة وهران2 korta.nor@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/23 تاريخ القبول: 2021/06/30 تاريخ النشر:2021/09/30

الملخص:

تمثل مشاريع الفكر العربي لحظة متميزة في سياق الثقافة العربية الراهنة، ويعتبر مشروع عبد الله العروي جهدا فكريا غنيا من الناحية النظرية وكذا تماسكه المنهجي، وهو ما جعله أحد أكبر الفلاسفة الذين كانت لهم قدرة الخوض في أعقد وأصعب الإشكاليات التي خاضها الفكر العربي الإسلامي المعاصر، عمل العروي منذ أن كتب مؤلفه المهم "الإيديولوجية العربية المعاصرة"، على إعادة النظر في التأمل الفلسفي وطرقه و مناهجه المتبعة، لهذا دشنت كتابات هذا المفكر عهدا جديدا في الفكر العربي المعاصر لما قدمته من معالم وإرهاصات أنبئت بميلاد مشروع ثقافي مؤسس على اختيارات فكرية وفلسفية واضحة تتوخى مساعدة المجتمعات العربية على تمثل أسس الحداثة واستيعاب أصول المعاصرة استنادا إلى وعي تاريخي منفتح تتجاوب فيه أسئلة الواقع مع معطيات التاريخ.

الكلمات المفتاحية:

عبد الله العروي؛ الفكر العربي؛ الحداثة؛ الوعي التاريخي؛ الإيديولوجية.

Abstract: The projects of Arab thought represent a distinct moment in the context of the current Arab culture, and Abdullah Al-

♦ كرطالي نور الدين

Arwi's project is considered a rich intellectual effort in theory as well as its methodological coherence, which made him one of the greatest philosophers who had the ability to treat the most complex and difficult problems faced by contemporary Arabo-Islamic thought,toreconsider the philosophical reflection, and its used methods .

The writings of this thinker has inaugurate a new era in contemporary Arab thought.

Keywords: Abdullah Al-Arawi; Arab thought; Modernity; Historical awareness; Ideology

مقدمة:

فرضت التحولات التاريخية الراهنة على المثقف العربي ضرورة بناء معرفة جديدة في أفق إبداعي، وفي ظل واقع عربي يتميز بالانحطاط سواء على جميع المستويات، و من أجل مواجهة الأخطار الجديدة، و في هذا السياق يجد نفسه أمام طموح جديد يجبر المفكر الجديد على إعادة قراءة واقعه، في ظل الاختلاف في فهم الحداثة الغربية، ارتأينا أن نرصد موضوع الحداثة، انطلاقا من الفكر الفلسفي المعاصر كفكر اهتم بحاضره، وانشغل بهموم زمنه، مشكلاته آفاقه وتطلعاته، خصوصا وأنه انخرط في الإشكالية المركزية، التي فرضها وضع التخلف العربي، "لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق ؟" لكن نظرا للانفتاح الهائل لهذا الموضوع، الذي يتجاوز محدوديتي الفكرية حاولت الاعتماد على أكثر الأعمال الجادة والرائدة، في الإجابة على سؤال تخلف الوعي والنهضة في العالم العربي، وهي محاولة المفكر والمؤرخ المغربي عبد الله العروي الفيلسوف والمفكر العربي المغربي الذي وجه اهتمامه نحو فهم العوامل الأساسية في تأخر الوعي في العالم العربي محاولا بذلك أن يقدم مشروعا نهضويا مثل غيره من فلاسفة عصره أمثال الجابري والخطيبي ومحمد أراكون وغيرهم من الأسماء الأخرى التي حملت لواء إصلاح الوعي والتغيير في مجتمعاتنا المعاصرة.

وتتمحور إشكالية بحثنا هذا في السياق التالي: هل يمكن اعتبار الحداثة منطلق جوهري في تشكيل وعي تاريخي يمكننا من تجاوز الأزمة التي يعانيها العقل العربي على مستوى فهم الواقع ؟

وكيف ينظر العروي إلى التراث بوصفه مرجعية يستند عليها المفكر العربي في تشخيص هذا الواقع ؟ وهل الوعي بالتاريخ يعني بالضرورة إحداث قطيعة بين ماض موروث ومستقبل مجهول ؟

1 الوعي التاريخي العربي وأشكاله:

يرى عبد الله العروي أن الثقافة العربية التي أخذت ملامحها خلال القرن التاسع أنها تستند إلى مرجعيتي التراث والتقليد، إذ تعتمد على آلية الانتقاء أحيانا والتوفيق أحيانا أخرى، حيث يرى أن المفكر العربي مازال يطرح نفس السؤال القديم الجديد " لماذا تقدم الأخر وتأخرنا نحن "؟ وقد ظل الوعي العربي منذ فترة ينظر للأخر على أنه اسم غامض ودقيق في نفس الوقت، إنها أوروبا المسيحية وريثة الحروب الصليبية والانحطاط الخلقي والرجال المخنثين[1].

إن الوعي الغربي بالقياس إلى الوعي العربي في فترة تاريخية ما يعاني من سيطرة الفكر الكنيسي الديني الذي لطالما كان عائقا أمام نهضته المعرفية ما تطلب منه المفكرين الغرب وضع قطيعة بين هذا النمط من التفكير والمنطق الجديد الذي أسس له مفكرو النهضة بداية من القرن الخامس عشر، فاستطاع بذلك تحقيق نهضته وتجاوز أزماته التي كان يتخبط فيها على جميع الأصعدة والمستويات، إذا فالوعي الغربي في صورته الراهنة إنما هو امتداد منطقي لمساره التاريخي.

إن الوعي العربي المعاصر فيما يبدو متأخر عن وضعه التاريخي، و يعتبر هذا التأخر ناتجا عن تأخر التاريخي في فهم مستجدات الفكر التاريخي النظرية والمعرفية التي تعكس طرائق التحليل وكيفية الفهم ذاتها و البعيدة في منطلقها ومنطقها عن مكاسب العقل الحديث، وعلى هذا الأساس يركز العروي في نقده لأسس الأيديولوجية العربية المعاصرة من خلال تمييزه بين

1عبد الله العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، سنة 2006، 52 .

جملة من الأشكال الأساسية للوعي و التي شكلت، في نظره، طريقة فهم المثقف العربي مشكلة تأخرنا التاريخي، فأولها: وعي المصلح الديني الذي أرجع تأخرنا التاريخي إلى ابتعادنا عن قيم العقل والحرية التي أقرها الإسلام في اعتقاده، إذ أن نهضتنا تقوم بالعودة إلى هذه القيم الإسلامية الأصيلة.

إن المصلح الديني حسب العروي، يكرس تقليدا قديما فهو يعتبر أن النصوص الدينية الإسلامية تحتوي على الكثير من معاني التسامح، بينما القول بأن قوة الغرب مؤسسة على العقل والحرية لا يؤكده الواقع التاريخي، إذ يؤكد رجل الدين، من أجل دفاعه عن هويته، أن هناك مجموعة من المفكرين عانوا الاضطهاد، و عليه فبمنظور العروي أن فهم التاريخ لا يكون إلا بالانفتاح على الفلسفة اليونانية وعقلانية المعتزلة، وينتهي هذا النمط من المساجلات إلى اعتبار العقل هو حق إلى جانب الإسلام والتعصب إلى جانب المسيحية[2]

غير أن رجل الدين عندما يواجهه تساؤل هل العقل ينتصر للإسلام، والتعصب إلى مرتبط بالمسيحية؟ فكيف نفسر إذا تطور الغرب وتأخر العرب؟ من هنا يجيبنا العروي على أن القراءة التاريخية تقتضي عدم الانتقائية فإن رجل الدين هما سيستحضر نكبة ابن رشيد و غيرهم من المفكرين الذين عانوا ما عناه المفكر الأوروبي، فمشكلات المجتمع العربي تكمن في عدم الفهم السليم للعقيدة من جهة، و كذلك عدم تطبيقها في الواقع من جهة أخرى، وبهذا نجد العروي يؤكد على أن الوعي الديني بقي يشكل صورة ذهنية لأصلها الواقعي، لأن وسائله الذهنية "مفاهيم متفرعة عن الكلام والفقه الكلاسيكي الإسلامي".[3]

2 العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، ص 59

3 عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، دار الحقيقة ،بيروت ،الطبعة الثالثة ،1973، ص 81

و هناك شكل آخر من أشكال الوعي المرتبط بالمثقف العربي إذ أن تأخرنا التاريخي في نظر العروي له علاقة كذلك بوعي رجل السياسة، الذي دعي إلى النهضة، مؤكدا أن شروط النهضة تقوم على الإصلاح السياسي معتبرا أن قيم العقل والحرية العقلية بقدر أهميتها وضرورتها، لا تحقق نهضة ولا تدرك حداثة في ظل الاستبداد السياسي، وأن قيم الديمقراطية والحرية السياسية التي بنيت عليها نظم الحكم الحديثة هي شرط نهضتنا الضروري بل هي أساس أية حداثة عربية مرجوة.يؤكد العروي على أن هذا الشكل من الوعي يرى الأخر بشكل يجب الإقتداء به لأنه يدرس التاريخ الغربي في ذاته، فالفكر الغربي توفرت له الأرضية التي سمت له بتحقيق نهضته بعيدا عن القراءة الإيديولوجية للتاريخ وينتهي الأمر به إلى الإقرار بغياب العقل عن المساحة السياسية، غير أنه ليس غائبة عن أوروبا التي خلقت له التربة الصالحة للازدهار.وفي الحقيقة، فإن رجل الدين هو الذي مهد لهذه العقلانية التي تبناها لاحقا الداعية الليبرالي، بحسب العروي، فرجل الدين من خلال سجاله بين الإسلام والمسيحية، والحجج التي ساقها ضد الكنيسة، وتلك التي كان يجدها في فلسفة عصر الأنوار، كانت قد مهدت الطريق أمام العقل العربيكى يأخذ بها.

لقد أصبح الأخر هو الذي يحدد الأنا فإطلاع السياسي على فلسفة الأنوار الأوروبية وعلى مسارها وكفاحها ضد الكنيسة، وبخاصة ضد ازدواجية الحكم في العالم المسيحي، فإن أوروبا في هذه اللحظة أصبحت بالنسبة لليبرالي العربي أو داعية السياسة، ليست مملكة البابا وحده، بل هي أيضا مملكة العقل الذي ينتقد الإمبراطور والإقطاعي، وبهذه القراءة لتاريخ الأخر فإنه يعيد قراءة تاريخه الخاص[4] الذي فيه الكثير من الطغيان والاستبداد، فيجد الليبرالي العربي، في مونتسكيو الذي قام بتشريح الاستبداد الشرقي ملاذه، فيزداد اقتناع، بل حقد على التاريخ العربي بأكمله.

4 عبد الله العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، ص 102

من هنا نجد أن رجل السياسة الذي حل محل رجل يؤكد على أن سبب انحطاطنا هو استبداد قديم، لا يمكن معالجته إلا من خلال تبني قيم الغرب و تحرير الإنسان بتبني قيم الديمقراطية بمعنى أن داعية السياسة، يرى أن مشكلات المجتمع العربي تتعلق بالتنظيم السياسي الكفيل بتأطير وتوجيه الشعوب نحو الحرية والتقدم، وليست في عدم تطبيق الشريعة، ففي فساد الحكم واستبداد الحاكم علة تأخرنا، وفي ديمقراطية الغرب وحرياته السياسية آلية تحررنا من سلطة الفرد الواحد، وتحرير الإنسان من ومعيقات النهوض بالمجتمع، وبهذه الرؤية الجزئية التاريخية، استطاع الزعيم السياسي أن ينفي عن العقيدة الإسلامية سبب انحطاطنا الذي هو في الاستبداد والاستبداد طارئ على المسلمين وعلى العرب.

و من واوية أخرى نجد أن المثقف العربي دعى إلى التقنية التي تمثل قوة الغرب في علمه التطبيقي إذ نجده يرفض ما يدعو إليه رجل الدين أو رجل السياسية، فهو ينظر إلى التجربة اليابانية مكسبا يحتذى به من أجل تحقيق النهضة فبحسبه إن التفاوت التاريخي والهوة الحضارية بيننا، إن قيمة نقد التاريخ و إعادة تفسير المعتقد تكمن أساسا في الكشف عن تأخرنا التاريخي، و هنا نجد العروي على ينتقد المثقف العربي الذي بنى مواقفه على الفكر الغربي مسهما بتفكيره اللاتاريخي بشكل لا إرادي، كما يضيف العروي في إنقاذ التراث مثل سابقيه وفتح المجال بذلك لانتعاش الفكر التقليدي.[5]

إن داعية التقنية وانطلاقا من هذه النظرة لا ينظر للتاريخ بالقياس إلى رجل الدين أو الليبرالي فهو لا يهمه تأويل التاريخ ولا فهم سياقه العام، لأنه يرى أن الحضارة والحداثة هي الصناعة وثقافة، هذه الحضارة هي العلم بينما ثقافة الزراعة هي الأدب والفن ولهذا فهو أي التقني يحصر مشكلاتنا في التخلف الصناعي والعلمي، فالفرق بيننا وبين أوروبا لا يكمن في الدين بل في

5 عبد الله العروي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، ص 102-103

التقنية وهو لا يهمل الثقافة ولكن يراها تأتي بعد اكتساب الفرد المهنة وبالتالي يصبح العلم في خدمة التقنية.

يعتقد العروي أن الوعي التاريخي العربي، يختلف بين المجتمعات إذ " تخالفا في الوتيرة بين تحولات الثقافة وتطورات السياسة عندنا مثلما لم يلاحظ قط في أية بقعة من المعمورة تطابق زماني قام بين المذاهب الفكرية، والمجتمعات الملائمة لها، والأشخاص الداعين إلى اعتناقها"[6] فالوعى عند رجل الدين مرتبط بالمجتمع الخاضع للاستعمار المباشر، أما الوعي الليبرالي فهو مرتبط بالطبقة البورجوازية الناتجة عن تفكك التي ما قبلها، أما وعى داعية التقنية فإنه ينسجم مع منطق الدولة القومية.

يكشف العروي ذلك النوع من التطابق بين مفهوم الدولة والنظام الطبقي الذي نجد له تعاقبا مستمرا داخلها وسبب ذلك يعود لسماكة المجتمع وتمسكه بالأطر الثقافية والعقائدية التي وجدها قائمة قبله فرغم التحولات التي قد تعيشها الدولة ولكن مع ذلك تبقى هناك أشكال تنكشف داخل الوعي بشكل تلقائي فقيام دولة ليبيرالية مستقلة بذاتها بعد مرحلة ما بعد الاستقلال حسب العروي لا ينفي وجود ترسبات من الماضي المرتبط بالأسس الدينية بل الذي يحص هو مجرد هيمنة للنص السياسي على الوعي الديني خاصة بعدما تهيمن التقنية العلمية على الوعي الفردي والجماعي فتجد الدولة نفسها ترسم أبعاد التطور العلمي والتقني لتحقق بذلك تطلعاتها التنموية.[7]

إن التواجد الخاص بهذه الأشكال الكامنة في الوعي الخاص بالبنية الاجتماعية للفرد داخل الدولة الواحدة لا يعني التقليل من قيمة التعاقب الذي يحدده الزمن أثناء معالجتنا لتطور الوعي

6 المصدر نفسه ص 105

7 محمد خالد الشياب، لا تاريخية الوعي التاريخي وسبل تخطي تأخره عند عبد الله العروي عرض ونقد، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ،10 العدد 01، 2017، ص 67

العربي وانعكاساته على المجتمع والفرد لأنه من غير الممكن أن نحاول دراسة هذا التطور في وعي الإنسان العربي بعيدا عن هذه الأشكال التي تتميز بتداخلها بين فئات المجتمع داخل الدولة لأن أشكال الوعي هي بمثابة علاقات موضوعية تدخل في تركيبة النسيج الاجتماعي للدولة[8] . وإذا أضفنا إلى فعل التواصل التاريخي، عامل وحدة التراب والثقافة الذي يمتاز باختلافاته بين العالم العربي سنجد في تعاقب هذه الأشكال وتطورها نوعا من الخطأ لأنه سيكون مجرد تحليل لوعي عربي بدون مراعاة البلدان الأخرى رغم أننا قد نجد نفس هذه الأشكال في بيئة عربية تمتلك نفس المؤهلات والأسس التي تسمح له بأن ينمو ويستمر ؛ فرؤية مجتمع ما للواقع الذي يعيشه قد تكون له نفس الصفة لدى غيره ولكن تختلف في الأثر الذي تتركه يقول العروي" لماذا ظلت دعوة محمد عبده ذات تأثير بليغ في مجتمعات عربية مختلفة، رغم الفترة الزمنية التي تبعدنا عنها ؛ وكذلك لماذا نجد حضورا لفكر الكواكبي المناهض للاستبداد التركي في مصر بعد أن فشل في إحداث الفارق في بلاد الشام؛ أو مثل مشروع موسى سلامة الذي استقطب عقول شباب المغرب بعدما تراجعت مكانته في مصر الشقيقة وهناك الكثير من الدعوات التي برز أثرها للوجود في فترات متباعدة زمنيا وهو ما يجعلنا حسب العروي نجد تلك الصعوبة في تحديد طبيعة التأثير الذي تتركه هذه الإصلاحات في شاكلة الوعي العربي".[9]

كما نجد إحدى العوامل الأخرى التي تقف عقبة أمام تحديد هوية حامل الايدولوجيا العربية المعاصرة من ناحيتها الاجتماعية مما يحيلنا إلى صعوبة تحديد قيمتها بطريقة موضوعية وتبيان أثرها في بلد عربى أخر، و سبب هذا أن هناك علاقة بين هذه الإيديولوجيات والوعي فموقف المثقف العربي من الغرب يظهر حسب العروي، أهم المبادئ التي تحدد الوعي داخل نسيج المثق العربي الذي نجده يكمن بين طياته فكرة الغرب وهذا هو ما يجعل الهوية العربية الإسلامية

8 عبد الله العروي الايديولوجية المعاصرة ص 104
9 المصدر نفسه ص 117

تتشكل تبعا لما تخفيه تلك الفكرة عن النموذج الغربي داخلنا لهذا يجب على المفكر العربي أن يبدأ في بناء تصوراته الخاصة بعيد عن تأثير هذا النموذج . لأنه إذا لم ننجح في هذا فلن نستطيع الخروج من دائرة أننا ننظر لمشاريعنا بشكل سلبي كلما وضعنا النظرة الغربية كمشروع إيجابي يجب أن نلاحقه حتى ندرس قضايانا المصيرية.[10]

2 - الوعي التاريخي العربي وشاكلته اللاتاريخية:

إذا افترضنا أن النمط الذي يكون عليه الوعي في أي نسيج اجتماعي هو الذي يشكل بنيتها الذاتية فإننا بذلك نقول عن الإيديولوجيات التي الخاصة بالفكر العربي بعيدة عن أن تعكسه بكل حقيقي وواقعي، وبالتالي تصبح كل أشكال الوعي التي يخضع لها بعيدة عنه وبهذا يكون العروي قد صرح بشكل مباشر أنه لا أصالة للفكر العربي الذي أصبح مجرد انعكاس للأخر الذي لا يمكن أن يعكس حركيته، ليصبح مجرد فكر صادر عن إدراك لا واعي أو واقعي لأنه يمر دائما بحتمية تحليل بنية الفكر الغربي لدرجة أصبح فيها الفكر العربي لا يعود في دراسة هويته الى اللحظة الراهنة بل هي عودة للماضي الذي يعبر عن ضعف المخيال العربي في الوصول الى حقيقة هويته الراهنة .، بالنسبة للعرب هو بشكل مباشر. وهذه العودة التاريخانية للماضي هي تعبير عن الحنين والاشتياق لترسبات ملأتنا منذ أزمنة بعيدة و بالتالي تجد الذات العربية نفسها أمام واقع لا يحدد أهدافها المستقبلية وسبب ذلك أنها تعود بشكل كلي لماضي الغرب أو ماضيها الخاص وفي كلتا الحالتين تجد نفسها مغتربة أو مستلبة بشكل حضاري و أكثر فشل قد يصيبنا حاليا هو أو لا نستطيع مجارات واقعنا وتحليله بشكل حصري ومباشر.

ليس ضعف الوعي العربي المعاصر مرهون بما يسميه العروي اللاتاريخانية بل هناك أشكال أخرى تمتاز بطابعها السلبي بشكل أكبر وهي التلاصق الوثيق بين هذه الأشكال وصورتها الغربية

10 محمد خالد الشياب، اللاوعي التاريخي، ص 67

وهي أكثر نقاط الضعف التي تبرز في شخصية المثقف العربي لأنها لا تنجح في داخل إيديولوجية فكرنا السياسي والثقافي لأن الغرب الذي ننهل منه اليوم قد تجاوز بشكل كبير كل ما له علاقة بتراثه القديم في عملية تحديد هويته المعاصرة فهو ليس وعي ديفانشي أو مونتسكيو أو سان سيمون لأن المبدأ الذي يحركه هو ذلك المحرك الذي يتحكم في ذهنية القرن 19 وهي الرأسمالية والديمقراطية اللبيرالية فالمجتمع الغربي لم يغلق على نفسه باب التقدم في وتيرة القيم الإنسانية لأن الحركات الإصلاحية في الفكر العربي لم تأخذ نماذجها من تلك المشاريع الجديدة للغرب بل استاقتها من أفكار مهمشة تجاوزها الزمن في الثقافة الغربية كانت مرتبطة بما يسمى عصر القرون الوسطى أو سلطة الكنيسة في الوقت الذي كان فيه الغرب يتحرك بفعل أفكار جون ستيوارت مل و برتراند راسل، ماركس و روسو وغيرهم أسماء لها ثقل ووزن كبير في المجتمع الغربي اليوم خاصة من الناحية السياسية والتربوية.[11]

إن أكبر هاجس وقع فيه المثقف العربي هو أنه قد عاش غريزتين مزدوجتين داخل ذاته وعي مشابه للواقع وأخر يبتعد عنه بشكل مطلق وبتعبير العروي إنها أدلوجة فإذا كان المجتمع الغربي تعرف على واقعه التاريخي وجدد وعيه بنفسه بطريقته الخاصة مناهجه المستقلة عن الاخيرين فإننا نجد الفكر العربي قد فشل في مثل هذه العملية لأنه تعرف على وعيه الزائف من خلال الاقتداء بالغرب، ونتيجة التأخر الذي يعاني منه المجتمع العربي التاريخي عن الغرب أصبح وعي المثقف العربي بأشكال وعي الغرب التي كان يجب أن تكون هي نفسها في واقعنا التاريخي وعيا غير مطابق إنها أدلوجة أو وعي لاتاريخاني بتعبير العروي؛ مؤكدا بذلك أن اللاتاريخانية هي أمر لا يجب التغافل عنهإذا أردنا أن نصنع تقدمنا بأنفسنا ".[12]

11 محمد خالد الشياب، اللاوعي التاريخي، ص 68
12محمد خالد الشياب، اللاوعي التاريخي، ص 69

يرى العروي أن هناك سببان رئيسيان لضعف المشروع الحداثي في العالم العربي وهما لا تاريخية وعي المثقف العربي إذن و لاتارخانيته، وهذا الضعف يعود إلى عجزه عن إدراك واقعه كما هو، وما ينتج عن هذا العجز تظهر انعكاساته على المستوى السياسي لتتبعه كل المستويات الأخرى الثقافية والدينية و الأخلاقية، ونتيجة الفكر اللاتاريخاني النهائية أيضا هي في تحليله العجز عن إدراك أسس العالم الحديث ومنطق تطوره والاستهانة بوحدة التاريخ الإنساني و مصيره، ومن ثمة يتولد الضعف في إدراك أسباب تأخرنا التاريخي وتشخيص علله، وتحديد موقعنا من التقدم الإنساني اليوم ، وهي المهمة التي يجب أن يقوم بها كل مثقف ينتمي للبيئة العربية سواء في الحاضر أو في المستقبل،من أجل علاج هذا التأخر في وعيينا بالواقع فتردد المجتمع العربي منذ القرن الماضي في تبني معالم الفكر العصري وتطوراته نجم عنه تردد المثقفين منا في اختيارهم المستقبل عوضا عن الماضي والواقع عن الوهم[13].

3نقد العروي لعامل التأخر واكتساب الوعي العربي:

يفسر عبد الله العروي التراجع الذي تعيشه المجتمعات العربية المعاصرة في ضعف الطبقة المثقفة أو ما يسمى بالنخبة التي لم تتمكن من إنجاب مشاريع صالحة ومبنية على أسس بعيدة عن التيارات الأيديولوجية ذات الطابع السلفي الديني لأن المشكلة الأولى التي نعانيها هي ذات بعد ثقافي لذلك فإنها مهمة المثقف وليس العامة يقول العروي " حين أتكلم عن التأخر الثقافي فقط لأننا ننطلق من مبدأ أن كل ثقافة هي التعبير عن مجتمع محدد، وهو نفسه بأساس مادي، وكذلك عن إثبات واقع هو ظاهرة الاستعمار. هذه الظاهرة المنظور إليها كرمز الفشل المجتمع المقلوب الشامل تدفعنا إلى إثارة تأخرنا الثقافي".[14] ومعنى هذا أن التراجع الذي يعانيه الواقع

13 عبد الله العروي، أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية ...؟ ، ترجمة ذوقان قرقوط ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،الطبعة الأولى ، 1987 ص 46

14 عبد الله العروي، العرب و الفكر التاريخي، ص 99

الثقافي ليس كونه مكتفيا بذاته يستطيع أن يعوض كل أسباب تأخرنا ولكن فقط العروي يضع مقاربة بين تأخرنا التاريخي وبين الثقافة كأحد الأسباب لأن العروي كانت له قناعاته الخاصة التي يرى من خلالها أن للعامل الثقافي تأثير كبير على الإيديولوجية الفكرية في أي بيئة اجتماعية فالمثقف دور كبير في سير التاريخ وتطوره لذلك فإن أفضل انطلاقة يجب أن نقوم بها تكون من المستوى الثقافي حتى نشخص بعد ذلك بقية المستويات الأخرى التي ليست سوى انعكاس لهذا فإن التأخر الثقافي له مظهر أيديولوجي واضح يجعله العروي سببا أساسيا في استمرار تأخرنا العربي وصعوبة فهم أسبابه.[15]

يعتبر العروي أن القيام بثورة على المستوى الفكري هو الأمر الوحيد الكفيل بخلق وعي مثمر في المستقبل العربي على مستواه الفردي والجماعي تجاوزا لمشكلات الأمة لتنبعث من جديد الشخصية العربية بعد تأخرها الذي عاشته في مائة سنة الأخيرة وبالخصوص بعد الثورات العلمية للقرن التاسع عشرة في أوروبا والعالم الغربي و الذي أظهر ضعفنا أمام الشعوب.."[16]، لكن مسألة رفع الوعي إلى مستوى عالي لن يكون حسب تحليل العروي دائما إلا بخضوع المثقف العربي لمقومات الفكر التاريخي ومنطقه، وتبني رؤية تاريخية حقيقية؛ فكر تاريخي يفتح له إمكانية تحرره من أوهام النزعة الدينية المغلقة وسلبيات الفكر التقليدي اللاتاريخي، ورؤية تاريخانية توفر له كل آليات التقييم والنقد في ضوء التجربة التاريخية والحضارية للإنسان التي أنجز بفعلها أهداف وغايات واضحة تتماشى مع تطلعاته وأحلامه المستقبلية، ولأن التأخر التاريخي نسبي بالضرورة، إن علاج التأخر وتجاوزه يكون قياسا على التاريخ الإنساني الذي بلغته البشرية واحترام مراحل تطوره، أي ضمان الوصول إلى مستوى التاريخ الإنساني الناجز، وهو تحديد مفهوم تاريخانية العروي وغايتها. فرغم أنه يرى التاريخانية هي الدواء الشافي للمثقف العربي وقوام رؤيته

15 محمد خالد الشياب، اللاوعي التاريخي، ص69

16العروي عبد الله، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى، 1983، ص 64

الفلسفية البديلة لواقعه التاريخي، إلا أنه يطرحها مثل نقد عملي على تراجع التاريخانية بأبعادها المختلفة، التي تعتبر برنامج جامع الأبعاد للنهوض بالمجتمعات المتخلفة خاصة مجتمعات العالم الثالث عمومية التي فشلت في معظم مشاريعها الإصلاحية، أما عن الحجج التي اعتمدها العروي في التأكيد على ضرورة هذه التاريخانية فإنها تعبير عن كونية العقل البشري ووحدة المصير الإنساني المرتبطة به. لأن قاسم مشترك بين الإنسانية، أين بين المجتمعات على اختلاف انتماءاتها اللغوية والدينية كما يوضح عبد الله العروي فإن مستقبل الإنسانية له مصير واحد. وبالتالي فإنا خياراتنا الموضوعية لن يكون، من وجهة نظر معرفية محض، في نظره إلا خيار وجهة التاريخ الكوني واحترام منطق تطوره والتدرج في استيعاب مكاسبه.[17]

على المجتمع العربي الراهن يتجه إلى المستقبل الذي تبدوا ملامحه الواضحة بشكل كوني في الفضاء التاريخي للنسيج الاجتماعي الغربي بكل انجازاته الحاضرة وليس بشكلها الكلاسيكي الذي لم يصبح معمولا به، لكن هناك سؤال أساسي يجب طرحه وهو ما السبيل إلى تخطي هذا الواقع واكتساب الفكر التاريخي ؟ يقر العروي بضرورة الوعي التاريخي، وأهمية الموقف التاريخاني العام للإنسانية فإذا كان المعطي التاريخي الذي يحيلنا إليه مفهوم التاريخانية هو التأخر العربي، فإن هذا المفهوم يعني أننا كبلدان عشنا الظاهرة الاستعمارية نوجد في وضعية تجعلنا نعمل على اقتباس إنتاج الغرب الذي نراه متقدم مما يجبرنا على استلهام تجربته الحضارية والإنسانية خاصة الجانب العلمي الذي سبقه لنا الغرب ؛ ولهذا يؤكد العروي إيجابية دور المثقف في العمل السياسي واستدراك مبادئ الحداثة الليبرالية التي نحن متأخرين عنها وعن أسسها الفلسفية ومكاسبها الإنسانية وذلك من خلال الاهتمام بالفكر العقلاني والديمقراطي والعلمانية كمفهوم فلسفي وغيرها من المفاهيم والأسس الليبرالية الاقتصادية والسوسيولوجي، كالملكية الخاصة والمبادرة الحرة ومنطق التنافس إلخ التي تقوم على مبادئ مهما يكن حكمها، من الناحية

17أفاية نور الدين ، أسئلة النهضة في المغرب ، منشورات الزمن عدد 15 ، يونيو 2000 ص 22

الفلسفية والأخلاقية، تبقى على اتصال بتطور عملية التحديث الغربي وبحداثته، ولا إمكان، في نظر العروي لأية حداثة عربية مرجوة عنها وعن تاريخانيتها. يقول العروي: "إذا كان لابد من الاختيار بين المنهج التقليدي وبين الليبرالية، فإني اختار هذه الأخيرة على أن أتجاوزها سريعة نحو اشتراكية عصرية، لكني لا أحبذ اشتراكية على أسس تقليدية لأنها تكرس منطق الماضي" [18]، إن التأكيد على هذه المقومات ليس عودة إلى الماضي وشكلياته أو ترديد دعوة مضى عهدها بقدر كبير ما هو عند العروي محاولة الوصول إلى أشياء لم نتمكن من أن ندركها والتي تمثل صيرورة بالنسبة لنا يقول العروي: "عرفت الإنسانية الحديثة ثورات متعددة دينية ديموقراطية، صناعية. كل واحدة منها هي تعبير في ميدان خاص وبكيفية خاصة عن تطور المجتمع كوحدة متكاملة، ونتجت عن هذه الثورات أيديولوجيات مختلفة أهمها الليبرالية والاشتراكية".[19]

أما عن المجتمعات الغربية المعاصرة و الحداثة فإنها عبارة عن خلاصة تاريخية لتلك الثورات، بينما الليبرالية والاشتراكية هما تعبير عن هذه الثورات ونتائجها، كانت هذه هي الميزة المسيطرة على التطور التاريخي في المجتمعات الغربية، منذ القرن السابع عشرة فإن المجتمع العربي لم يعرف، إلا ثورة واحدة، الثورة الوطنية واختلطت فيها ثورات متعددة ذهنية فردية، وديموقراطية اجتماعية، واقتصادية اشتراكية، كانت قد حققت الاستقلال السياسي ووحدة التراب الوطني ولكنها مع ذلك حملت إخفاقات كثيرة أولها أنها فشلت في تحرير الإنسان من ذهنية الفكر التقليدي وبذلك يصبح المجتمع العربي الراهن أسير منغلقا ضمن خليط من الأزمنة و العصور ومن الأنظمة السياسية وبسبب هذا، فإنها قد أخفقت في تحرير المجتمع والإنسان من قيود المجتمع التقليدي أو الأيديولوجي الذي رسخته النخبة العربية بمنطق تفكيرها السلفي العقائدي والانتقائي التقليدي، إن سبب تأخرنا التاريخي حسب العروي هو تأخرنا على المستوى

18العروي عبد الله ،أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية؟ ،ترجمة ذوقان قرقوط ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،الطبعة الأولى ،1987، ص 39

19 العروي، أزمة المثقفين، ص 41

الثقافي والفكري أي تأخرنا في الذهنيات الخاصة بأبعادنا الهوياتية الآنية التي لم تبرز إلى الوجود الفعلي .[20]

أما عن سبب تأخر هذه الإيديولوجيات التي تسمح لنا بالتقدم الإنساني فإن العروي يرجع ذلك إلى ظهور حركات الإصلاح في عصر النهضة "والتي استعمل فيها أصحابها معظم نماذج الغرب ولكنها لم تكن شمولية لذلك يعتقد العروي أن الحل الأنسب هو التأكيد على ضرورة تبني المثقف العربي مقومات تمتاز بشموليتها و أكثر تيار فلسفي يحمل هذه الصفة هي بالنسبة للعروي الماركسية كأفضل مدرسة يمكن لنا أن ننهل منها تجربتها مع التاريخ لأنها بالفعل نظام يعطينا فهما كاملا عن المنطق الذي يحرك هذا العالم بشكل تطوري لذلك يجب على المثقف العربي أن يفهم منجزات الفكر الغربي وأفاقة حتى يستفيد منها في تفعيل حداثته بعيد عن الانسداد الذي يشكله ارتباطه بالماضي أما عن ماركس فإن العروي يقترح ان نعود إلى فلسفته في فترة الشباب اليافع لأن الماركسية هي أكثر فلسفة تتماشى مع طبيعة وظروف المثقف العربي ؛ و بتعبير أخر فإن ما يمكن أن نجده في الماركسية هو السبيل الوحيد القادر على إعطائنا آلية تجاوز كل تأخر نعيشه و بالتالي فإنه من واجب كل مثقف عربي راهني أن يعود إلى هذه الفلسفة و يحللها لأن الحقيقة الكامنة فيها أن حركة المجتمع هي نفسها حركة التاريخ وتطوره فكلما عرفنا حقيقة هذه المعادلة أمكننا التحكم بآليات الفكري المختلفة خاصة السياسية والاقتصادية..[21]

لكن قراءة الفلسفة الماركسية حسب العروي تكون بما تفرضه مرحلة ما بعد الحداثة وليس مرحلة ما قبل الحداثة لأن التعامل مع فكر ماركس هو صعب نتيجة من هنا يتعين على المثقف الذي له انتماء ما قبل الحداثي، أن لا يستعمل في قراءته لفلسفة ماركس نفس الأسلوب والتصور الذي يملكه ذلك الذي له مرجعية ما بعد الحداثة لأن كل واحد منهما يسعى إلى أهداف مختلة

20العروي، العرب والفكر التاريخي، ص 111
21 العروي، العرب والفكر التاريخي، ص 113

عن الأخر سبب هذا حسب العروي وجود أنظمة رأسمالية متطورة وراقية لا يهمها أبدا التأخر التاريخي، فالتطور الفكري الذي شاهدته قارة أوروبا منذ مرحلة النهضة في القرن 16 جعلته غير مبالي بالبحث عن ماركس الأيديولوجيا وجعلته يتجه يتوجه نحو ماركس رأس المال.

أما عن المثقف الذي لا ينتمي إلى ما بعد الحداثة أي مرحلة ماركس الرأسمالية، ان يقوم بدراسة تحليلية لكل فكر ماركس وفقا لما يقتضيه واقعه الاجتماعي المتخلف وهكذا يكون المثقف مجرد انعكاس لبيئته الاجتماعية فعليه إذا أراد أن تكون لقراءته معنى ولا يريد أن ينفصل عن مجتمعه الأصلي أن يتعرف على ماركس خاص ويقرأه قراءة خاصة ويؤوله بكيفية خاصة ما دام هذا المثقف ينتمي إلى مجتمع لم يخرج من دائرة تخلفه وانغلاقه، إن لمثقف العربي الذي يناقش ماركس بعيد عن الواقعي الحداثي الراهني يجد نفسه في عودة تاريخية إلى الإيديولوجية الماركسية التي تشبع بها الألمان و التي تضع الرأسمالية تحت مجهر النقد وبذلك يرتدي الوعي العربي لدى المثقف نفس لباس الإيديولوجية الألمانية التي كانت في ما قبل إيمانا منه بأن القيمة الحقيقية لهذه الإيديولوجية أنها تملك تعبيرا عن الكونية والإنسانية ووحدة الوجود الإنساني لكن هل العروي يقصد كل بالماركسية كل تفكير جاء به أتباع ماركس وقراءه أم انه يحدد نموذجا معينا منها إن العروي لا يراهن على أية ماركسية، بل على نوع محدد منها، أو على حد تعبيره ماركسية تكون مقروءة وفق معطيات البيئة العربية تتناول أهم قضايا واقعنا التاريخي، أي أن تحلل حسب معطيات واقع العرب التاريخي. وهو يسمي هذه الماركسية ويصفها بالماركسية الموضوعية أو "الماركسية التاريخانية". [22]

إن أهم فكر فلسفي الذي يمكنه فهم عصرنا ومشكلاتنا الراهنة هي الماركسية خاصة تلك التي سبقت تاريخ 1848 التي ركزت على نقد أسس الفكر الليبرالي ومرجعياته الفكرية لتضع نفسها كفلسفة إنسانية استوعبت معظم القيم الأخلاقية وبهذه الفلسفة أو الإيديولوجية الماركسية

22 محمد محمد خالد الشياب، اللاوعي التاريخي، ص70

نتمكن من فهم صحيح للتخلف الذي نعيشه الأن فمبادئ ماركس كفيلة بجعلنا نبلور وعي تاريخي نفهم به أسباب تخلفنا وترجعنا في الوقت الذي برز فيه الغرب بشكل قوي على جميع الأصعدة كما تمكننا هذه الإيديولوجية حسب العروي أن نبتعد عن تلك الإغراءات القومية والأنثروبولوجية التي جعلتنا أمة ضعيفة ومتخلفة لأنها مجرد انجذاب إلى خصوصيات قومية تجعلنا لا نرى العالم كوحدة ونضع بذلك حواجز بيننا و بين الثقافات الأخرى لنقضي على التعددية في الاتجاهات والآراء وهذا نقيض لنظرية التطور التاريخي كبعد من أبعاد الإنسان الكونية و إذا ما فشل المثقف العربي في الوصول إلى هذه الرؤية سيجد نفسه قد انحصر في حلقة فارغة لن يتمكن من الخروج منها ومسايرة الأمم التي تشكل اليوم قوة إقتصادية ولها مكانتها السياسية يشبه العروي تأخرنا هذا بذلك الذي عاشته ألمانيا في مطلع القرن 19 و الذي تمكن الألمان من تجاوزه فهل يمكننا ذلك أيضا ؟

إذا ما هو الأمر الذي يجب أن نعمل عليه نحن الشعوب العربية المتأخرة في وعيها التاريخي حسب العروي ؟ إن المطلوب عربيا هو مشروع لماركسية من نوع خاص تجعلنا ننفتح على العالم و نبتعد عن الخصوصية والمرجعية الضيقة لأن المعقولية المحدد بأطرنا الكلاسيكية لن تكون نافعة لنا في إبراز موقعنا من التاريخ الجديد للإنسانية والماركسية هي الفلسفة الوحيدة القادرة على الإجابة و التصحيح الخاص بتأخرنا التاريخي ومن جهة أخرى فإن استيعاب المثقف لهذا الأمر يمكنه من أن يدخل مرحلة الليبرالية الحقة، الماركسية إذن هي أقرب مرجعية لفهم طبيعة مشكلاتنا، وحسن استعمالها لأغراض قومية تحررية تصبح - لدى العرب - مدرسة الفكر التاريخي، وهذا مقياس المعاصرة أو ما قبل الحداثة حسب العروي، ومن دونه سننجر في الأخير إلى صراع مرير نعاني منه لسنوات عديدة وقد نفشل بعدها في أن نقوم ونصنع لأنفسنا مقومات خاصة بنا.[23]

23 عبد الله العروي، السنة والإصلاح، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2010، ص 6

4 دفاع العروي عن ما بعد الحداثة:

يعبر العروي من خلال مؤلفات عديدة ومتنوعة عن لحظة مميزة في السياق العربي المعاصر، حيث عبر في كتاباته المتنوعة عن إلمام واسع بالتراث الإسلامي من جهة، وعن استيعاب للأسس التي قامت عليها الحداثة الغربية والفلسفات المعاصرة من جهة أخرى، وتمتاز كتابات العروي في كونها تغطي مجالات مختلفة، وحقولاً معرفية متنوعة من فلسفة، وتاريخ واجتماع وصولاً إلى الحقل السياسي، فضلاً عن تميز هذا الإنتاج الغزير والمتصل منذ ما يزيد عن نصف قرن بانسجام مضامينه العلمية وأهدافه البحثية، والتي تمثلت كما يقول العروي في "تحديث الفكر وجعل المجتمع العربي متقدم".

عمل عبد الله العروي على توجيه عقل المثقف العربي نحو استيعاب أسس الحداثة الغربية والشروط التاريخية التي أنتجتها، ومن ثم توجيه الفعل باتجاه تحقيق تلك الشروط التاريخية وسلك الأسباب المؤدية إلى استنبات حداثة عربية.، يدور متن العروي كله حول مفهوم الحداثة، وهو ليس مفهوماً نظرياً يمكن مقاربته بصورة فلسفية مجردة، أو شعاراً يجري رفعه واجتراره بصورة سطحية في زمن كثر الحديث فيه عن التحديث والمجتمع الحداثي، إنما هو -كما يشير المفكر محمد نور الدين أفايه في حديثه عن فكر العروي" -جماع منظومة فكرية تحققت تاريخياً في المجتمع الغربي الحديث، ولم تتحقق لا قبله ولا في غيره من التجارب، وقد تحققت موضوعيا في المجتمع الأوروبي الحديث بالتحديد، بحيث يمثل المجتمع الأوروبي نموذجاً معيارياً وإطاراً مرجعياً لمفهوم الحداثة كما يشير العروي إلى أن سلسلة المفاهيم التي قام بإنتاجها والتي مثلت عماد مشروعه الفكري (مفهوم العقل- مفهوم التاريخ- مفهوم الأيديولوجيا- مفهوم الدولة- مفهوم الحرية) إنما هي "فصول من مؤلف واحد حول مفهوم الحداثة"، فهذه المفاهيم هي المقومات والعناصر المكونة للحداثة الغربية، ومن خلالها اشتغل على إيضاح وبيان ما تمثله هذه المفاهيم/المقومات من دلالات في الفكر الغربي الحديث وما مثلته في السياق الإسلامي التراثي،

وعبر هذا التفكيك والتركيب يصل العروي إلى استحالة تحقيق حداثة عربية راهنة من داخل المنظومة التراثية الإسلامية[24].

لقد صارت تنتشر في كل المجالات"، وأن "لا أحد (صار) بمكنته أن يوقفها ومن هنا يدعو العروي بصورة صريحة إلى ضرورة القطيعة مع التراث، وهي قطيعة تتعلق أولاً وقبل كل شيء بمسألة المنهج، وهي ليست مسألة هيّنة أو شكلية بقدر ما تعبر عن وعي معرفي بهذه "القطيعة التاريخية الحاصلة في واقعنا بفعل الاستعمار، والتي كنت أدعو فقط إلى الاعتراف بها والانطلاق منها "فالاعتراف بالقطيعة على مستوى النظر يعني إعادة تموقع العقل العربي في السياق التاريخي واستئناف لمسيرة التاريخ، لهذا يشدد العروي على أن عدم الاعتراف بهذه القطيعة على مستوى النظر قد أدى إلى وقوع العقل العربي في نفق المفارقات التي أعاقت كثيراً إرادة التحديث وأدت إلى التردد والعجز المزمن، فلما كان الواقع العربي الراهن قد تشكل بصورة مغايرة عن النمط التقليدي، فإن عدم فهم الشروط التي أنتجته لا يؤدي -في واقع الحال- إلا إلى حجب الواقع وتكريس التبعية، إذ "أن الاختيار أمامنا هو إما أن نتكلم بهذه اللغة، لغة العقل والمصلحة والقوة، وإما أن نبقى أوفياء للأخلاق والقيم العتيقة ونموت بموتها، ولا سبيل إلى التوفيق بين الماضي والحاضر"[25]

يرفض عبد الله العروي بشكل قطعي كل قول يرى في أن التقليد والمحاكاة هما أفضل حل لكل مشاكلنا الراهنة فهذه الفكرة غير واردة تماما عنده تماما فهو مصر على أن نتجاوز الماضي ونفتح صورة جديدة مع الواقع أي ان نضع بيننا و بين تقاليدنا الضيقة قطيعة تكون شرطا ضروري لكل تحول تاريخى نرغبه فلابد من الاختيار، من الفصل والحسم والجزم. إذ في الجزم العلة ويقصد هنا يقصد رفض كل ما هو تقليد من جميع المستويات كان العروي يهدف من خلال نقده للمنظومة الخاصة بالتفكر السلفي أن يدفع ذلك الحاجز الذي يمنع المثقف العربي من الوصول

24 عبد الله العروي ، الحداثة بوصفها واقعة حتمية، الميدان للفكر وعلم الاجتماع موقع الجزيرة نت 2017/02/16 .
25العروي عبد الله، من ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الثانية، 2010 .ص 15

الى تحقيق حاجاته التاريخية ولهذا فقد أعطى نقدا و تحليلا جد عميق ودقيق للخلفية التي يتأسس عليها منطق وخطاب دعاة التجديد الديني السلفي وهو الأمر الذي مكنه من أن يكتشف أهم خفايا الوعي العربي الحاضر[26].

لقد أظهرت أفكار محمد عبده عن تناقضات وعي المثقف العربي اليوم لهذا نجد العروي عمد على الوقوف عند فكر محمد عبد من أجل تبيان مظاهر القصور في المشروع السلفي برمته، جاعلا من حالة محمد نموذجا سمح له بان يشخص المحدودية الفكرية الناظمة للذهنية التقليدية بشكل عام وللفكر السلفي بشكل خاص . فقد أوضح العروي أن كثيرا من المثقفين التراثيين العرب اليوم يعمدون الى استعمال أفكار محمد عبده، غير واعين بطبيعة المنظومة الفكرية التي يريدون قيامها ضنا منهم أنها تساعده في فك أزمة التراجع التي يعيشونها لطم العروي يصف هذه المنظومة الكلاسيكية بأنها قد تجاوزها الزمن لتصبح حسبه مجرد تعبير عن عقلانية العصر الوسيط يرى العروي أن هذه العودة التاريخية إلى الماضي الخاص بأسلافنا هو الذي سيؤدي الى تراجعنا وتأخرنا عن ركوب عجلة التحضر ولهذا أثار وخيمة على مستقبلنا وحاضرنا فالحداثة هي ذلك الإطار الذي بلور من أجل قطع العلاقة بين أساليب التفكير الكلاسيكية الضيقة.[27]

لهذا يستوجب علينا أن نعمل على وضع القطيعة بيننا وبين كل أشكال التراث التقليدي من أجل الابتعاد عن من يرون في التجديد أمرا ينطلق من الداخل دون النظر لنا هو حولنا من تغيرات في البنية السياسية والاقتصادية التي اعتمدت عليها الحداثة عند المثقف الغربي لقد تعمق العروي في المشروع الذي قدمه محمد عبده والذي ينطلق من التراث الإسلامي كمرجعية متعالية قادرة على إعطائنا الدافعية التي نريدها لهذا تعد مقدمات عبد الله العروي ومراجعاته النقدية أساسا للتفكير في حالة الحداثة والتحديث لدى المثقفين العرب، وهنا يبرز ذلك التقاطع في مشروع

26 عبد الله العروي، عوائق التحديث، ص 239

27الشيخ محمد، المغاربة والحداثة، قراءة في ستة مشاريع فكرية مغربية، سلسلة المعرفة للجميع، رقم 34، مارس 2007 ص 52.

العروي بين مسائل الإصلاح ومطالب التحديث. أين اتخذ من فلسفته دفاعا عن الحداثة والفكر التاريخي حتى يعمل على تثبيت مبادئهما من أجل الانخراط في حركية التاريخ الكوني التي يعيشها العالم: "وهو السبيل الوحيد لاعتناق النظرة التاريخية..[28]

5 الوعي الثقافي في مشروع عبد الله العروي:

يتوسط فكر العروي في سياق الجدل الإيديولوجي الذي ساد الفكر العربي المعاصر بين أصحاب المشروع الإصلاحي السلفي وبين ممثلي الفكر الليبرالى. حيث ظهر فكره كمحاولة إصلاح يلمس من خلالها أهم نقاط ضعف النخبة العربية من أجل البحث والتقصي عن أشكالها ومظاهرها. حيث مثلت دعوته محاولة العودة إلى الحداثة والعمل على مسايرتها والانخراط في سير التطور الذي وصل إليه المجتمع يرتكز البرنامج الإصلاحي الذي اقترحه العروي على أن يستوعب المثقف العربي مكاسب العقل الحديث من عقلانية وموضوعية وفعالية وإنسانية، لكن هذا الاستيعاب. مهما تأخر، يجب أن يبقى مشروعا قائما لدى أي مثقف عربي وكلما تأخرت النخبة في الوصل إلى تحقيق هذه الحداثة زادت حدت مشاكلنا مع ضعف منظومتنا الثقافية.[29]

بدأ العروي نقده لممثلي الثقافة العربية ونخبتها في كتابه "الإيديولوجيا العربية المعاصرة" ثم جاءت أعماله الموالية بمثابة مشروع ثقافي قدم فيه العروي أسس تسمح للنخبة العربية بأن تمتلك حداثة وتدخل التاريخ المعاصر للإنسانية بعد ذلك زادت حدت هذه المعركة التي فتحها العروي على ثقافة النخبة العربية التي ما تزال تحت غطاء ما قبل الحداثة وكان ذلك في أحد أشهر مؤلفاته " العرب والفكر التاريخي" وفيه ركز العروي على التمسك بضرورة قيام ثورة ثقافية بعيدة عن خطابات الماضي في مؤلفيه هذين ذكر أهم النماذج التي يجب أن نعمل على خلقها وهي ثلاثة "الشيخ، السياسي اللبيرالي، داعية التقنية أو ما نسميه رجل العلم وهذه النماذج التي رأى

28 الشيخ محمد، المغاربة والحداثة، ص 61
29 عبد الله العروي ، عوائق التحديث 240

العروي بضرورتها يجب ان لا تتأسس وقف أي مرجعية سلفية أو كلاسيكية لأنه رأى في هذه الطبقة منتشرة بقوة ولها نفوذ كبير على الساحة السياسية والثقافية لهذا أصبح أغلبية الناس لا يفكرون بأسلوب تحرري لبيرالي أو ديمقراطي.[30]

بعد أن حلل العروي مقترحات نخبة الإيديولوجيا العربية التي عاصرها أقر بأنها قد فشلت كلها في الوصول إلى الهدف الذي نريده وهو التحول في الثقافة وجعلها مواكبة لروح العصر ومقتضياته هنا أعاد العروي في نموذج المثقف السلفي أو رجل الدين لأن هذا الأخير رأى في النظام العقائدي الذي ورثناه الدواء الشافي لتأخرنا والذي بمقدوره أن يحل كل مشكلاتنا وبكن هذا التقديس للماضي هو عبارة عن روح متعالية عن الواقع وبعيدة عن حاجيات العصر فتفكير الشيخ أو المثقف السلفي يجعلنا نعيش في أفكار سبقتنا وبروح كلاسيكية فشلت في تحقيق نفسها. أما المثقف الليبرالي الانتقائي فإنه يعيش مأساة أكثر عمقا من غيره إنه يريد مواكبة الحضارة الغربية فيصبح ساقط في فخ الاستلاب والتبعية الفكرية للغرب المتقدم إنه ضحية إغراءات مادية فيجد أن الظروف التي لديه ليست نفسها مع المثقف الأوروبي لأن للغرب أسلوب سياسي وثقافي مغاير لبيئتنا كما أنهم يملكون نفس الأسلوب الذي يواجهون به مشاكلهم فينطلقون من الحياة السياسية ثم يتفرغون بعد ذلك للعمل التربوي لكن المثقف العربي ليس بإمكانه أن يستعمل نفس المنهج لأن حرية النقد السياسي والتأسيس التربوي غير مسموح بها في ظل سيطرة الإيديولوجيات وبالتالي يصبح المثقف الغربي مجرد ناقل سطحي لأساليب الغرب وفلسفتهم وعندما يفشل المشروع الإصلاحي الذي جاء به يعيش نوعا من الإنعكاف على الذات ويعود إلى ممارسة أساليبه التي رغم فشلها لكنها المثل الذي يجب أن يقتدي به هو وغيره ممن أرادوا الإصلاحي بصوره المختلفة إن هذا هو فشل في عملية النهوض الثقافي التي يجب أن تعيش

30 عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، ص32

ثورة مشابهة لتلك التي قمنا بها من أجل تحرير أوطاننا من المستعمر لأن الاستعمار الذي تمارس أفكارنا على البعد السوسيوثقافي أشد فتكا من لغة السلاح.[31]

لا يمكننا حسب العروي أن نبدأ ثورتنا الثقافية إلى بعد أن نتصدى للفكر المطلق المنسحب من ثقافة التعددية وهو الأمر الذي جعلنا نشعر بالهدوء والسكينة لسنوات طويلة دون أن نقوم بأي تحديث لمجتمعنا أو أن نساعده على دخول عالم الحداثة تجاوزا لتأخره الثقافي إنها ثورة ضد كل أسلوب إصلاحي لا يعترف بالديمقراطية والتعددية الفكرية لأن هذا تعطيل لحركة الفكر والتاريخ الذي يمتاز بصيرورته فعلى المثقف العربي أن يعبد كل تصوراته المسبقة ويدخل في ثورة لبناء قيم جديدة ومعاصرة [32]، يقوم المشروع الثقافي الذي يقدمه عبد الله العروي على أساس فكري تاريخاني يؤمن بقدرة الإنسان على فعل التطور والخروج من القوة إلى التحقق وبهذا تتحقق الحداثة كما هي اليوم عند الغرب بعيد عن أمجاد الماضي التي نسحبها من داخلنا كلما أردنا الدفاع عن هويتنا فننسى بذلك أن الهوية ترحل وتتغير حسب مقتضيات الواقع وتبقى الهوية الإنسانية هي الشيء المشترك، أما عن النموذج الذي يراه العروي ضروريا أن يكون في كل مثقف عربي أسلوب متحرر يعبر طبيعة الإنسان العاقلة التي تطمح للجديد وتسعى إلى تحقيق السعادة التي لا تكون بدون الحرية، وضع العروي شروطا ثلاثة من أجل بلوغ هذه الغاية 1- معرفة معطيات الثقافة الحديثة. 2 - معرفة تجربتنا التاريخية في كل مظاهرها. 3 - إذكاء الوعي. لذلك وصف العروي مشروعه الثقافي بأنه "نقد إيديولوجي للإيديولوجية العربية و كتمهيد للعمل على تغيير الهياكل الاجتماعية السياسية والثقافية.[33]

31 كمال عبد اللطيف، الفكر الفلسفي في المغرب، قراءات في أعمال الجابري والعروي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى 2003. ص 13

32 عبد الله العروي، مفهوم الدولة ط 1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 22

33 محمد الشيخ، مسألة الحداثة في الفكر الفلسفي المعاصر، ص 87

6 الحداثة كمشروع إنساني:

يجب أن نوسع فكرة الحداثة لدى المجتمعات العربية حتى نستفيد من أبعادها الإنسانية التي أظهرتها كأسلوب ضد التخلف. وهو ما أطلق عليه العروي "المتاح للبشرية الذي يتحدد عنده باعتباره الأفق المستقبلي والأنموذج الكوني الذي يتعين على على كل مجتمع عربي اتباعه. فقد تميز المشروع الإصلاحي الخاص بالعروي في أنه مبني على قواعد أربعة وهي : 1- تثبيت قانون التطور التاريخي. 2- واحدية الاتجاه الإنساني. 3 - اقتباس الثقافة. 4- إيجابية ومكانة المثقف والسياسي.بهذا الشكل كان العروي قد عرض وجهة نظره على تخطي فكرة ما قبل الحداثة.[34]

كان العروي مؤمنا بواحدية التاريخ البشري والإنساني، هذا ما دفعه إلى القول بضرورة تعلمنا من نشاطات الحداثة الغربية وفلسفتها التي أخرجت أوروبا من جغرافيتها الضيقة لتدخل عالم القيم الإنسانية المشتركة لهذا كان الغرب سباقا لنا في ميدان العدالة والعلم وحرية الصحافة والفكر وفي خلق ذلك التطور العلمي الذي نراه عندهم "، [35] لهذا اقتنع العروي بأنه يجدر بالمثقف العربي أن يتبنى مبادئ الحداثة الغربية و مكتسباتها في طريقة الفكر والعمل حتى يساهم هو الأخر في تطوير الحضارة الإنسانية.من خلال الإيمان بضرورة التخلص من قداسة الماضي الفكرية والعقائدية من أجل رفع مكانتنا ووضع نظرة مستقبلية لعالم جديد ينطلق من ظروفنا الواقعية كموضوع للدراسة الفلسفية[36].

34عبد الكبير الخطيبي، المغرب العربي وقضايا الحداثة، ترجمة مجموعة باحثين، منشورات عكاظ، ط.1 (د.ت)، ص167

35عبد الله العروي، مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، ط.1، الدار البيضاء-بيروت، 1996، ص11

36– عبد الكبير الخطيبي، المغرب العربي وقضايا الحداثة، ص170

الخاتمة:

إذا حق لنا أن نضع حديثا مجملا لكل مشروع الحدثة والتاريخانية، فلن نجد قولا أدق من أنه سعي دؤوب نحو "تحديث الفكر والمجتمع العربيين". فقد عمل العروي، منذ النصف الثاني من القرن الماضي، على توجيه العقل العربي نحو استيعاب أسس الحداثة الغربية والشروط التاريخية التي أنتجتها، ومن ثم توجيه الفعل في اتجاه تحقيق تلك الشروط التاريخية، وسلك الأسباب المؤدية إلى استنبات حداثة عربية، لكي تتحقق تلك المنى يؤسس العروي لسلسلة مفاهيم يراها ثوابت يبني عليها أطروحته حول "الحداثة العربية"، وقد جاءت منجمة في خمسة كتب تباعا كما يلي :مفهوم الأيديولوجيا (1980)، مفهوم الحرية (1981)، مفهوم الدولة (1981(، مفهوم التاريخ (1992)، مفهوم العقل (1996)؛ وهي بمنزلة فصول في كتاب كبير غير معلن عنه موسوم بعنوان "مفاهيم الحداثة." لا يتردد مؤرخنا في التأكيد على أن موج الحداثة الجارف قادم لا محال، ويقينا أن الجميع سيكون تحت رحمتها؛ ومصير أي محاولة ترمي التصدي لها هو الفشل الذريع. بناء عليه يدعونا بشكل صريح إلى ضرورة القطيعة مع التراث، وهو ما عبر عنه بقوله: «القطيعة التاريخية الحاصلة في واقعنا بفعل الاستعمار، التي كنت أدعو فقط إلى الاعتراف بها والانطلاق منها»، فالاعتراف بالقطيعة على مستوى النظر، يعني إعادة تموقع العقل العربي في السياق التاريخي، واستئناف لمسيرة التاريخ.

نتائج البحث:

تبرز أعمال عبد الله العروي على حيوية الفكر العربي وقدرته على الإبداع والتنظير، بحيث لاقت أطروحاته قبولا لافتا للانتباه في صفوف الشباب والنخبة العربية، وتأثر به الكثيرون من أوطان عربية مختلفة، وفي مستويات مختلفة من الدولة والمجتمع. وقد تجاوز صدى أعماله حدود الوطن العربي إلى أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية. ويفسر هذا الإقبال بعوامل عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر: حماسه النهضوي البارز في جل كتاباته تقريبا؛ وصرامته المنهجية؛

وقدرته التنظيرية العالية؛ وانفتاحه الكبير على الفكر الغربي مع استيعاب جزئياته وكلياته في الآن نفسه.

لقد ألف العروي في حقول معرفية مختلفة، وأغرته إشكالات وقضايا متباينة، ففي البداية غلب عليه التاريخ، ثم انصرف للفكر والفلسفة دون أن ينسى حظه مما جبل عليه (التاريخ)، وخلل ذلك كله بأعمال أدبية مهمة، وفي كل هذا العطاء كان العروي ثوريا ومقداما سواء من حيث المنهج أو الأفكار والنتائج .وبالرغم من اشتغاله بكل هذه المجالات، وتأليفه فيها، فإن الجانب الأكثر شهرة وإثارة من بين آثاره مؤلفاته الفكرية، التي تناول فيها إشكالية النهوض بالوطن العربي، وبسط خلالها نظريته الإصلاحية. وترتكز الأطروحة الإصلاحية لفكر عبد الله العروي على ثلاث محاور أساسية:

- إعادة إدراك الذات في اتجاه إلغائها، ويدخل في هذا السياق عمله الدؤوب على اختزال الإسلام وإعادة تعريفه.
- إعادة تعريف العقل في المجتمع العربي المعاصر، بصورة تسمح للعرب بالاندماج في العصر، والتخلص من العقلانية الوهمية التي يدعونها.
- تجاوز المفاهيم التقليدية وعلى رأسها مفهوم الدولة، وتبني مفاهيم حديثة قادرة على تأطير الفعالية الحضارية للإنسان العربي، وتوجيهها لخدمة المعاصرة.

المصادر والمراجع:

- العروي عبد الله، الإيديولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الثالثة، سنة 2006.
- العروي عبد الله، العرب والفكر التاريخي، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الثالثة ،1973.
- العروي عبد الله، أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية؟،ترجمة ذوقان قرقوط،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ،الطبعة الأولى ،1987 .

❖ العروي عبد الله، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب الطبعة الأولى، 1983.العروي عبد الله، السنة والإصلاح، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء_ المغرب،الطبعة الثانية، 2010.

❖ العروي عبد الله، عوائق التحديث، محاضرة نشرت في مجلة مدارات فلسفية عدد 14 سنة 2006 .

❖ العروي عبد الله، من ديوانالسياسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الثانية ،2010.

❖ العروي عبد الله ا: مفهوم العقل، المركز الثافي العربي، الدار البيضاء-بيروت،ط 1 سنة 1996

❖ العروي عبد الله. مفهوم الدولة المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء، ط1 .

❖ أفاية نور الدين، أسئلة النهضة في المغرب، منشورات الزمن عدد 15، يونيو 2000.

❖ الشيخ محمد، المغاربة والحداثة، قراءة في ستة مشاريع فكرية مغربية، سلسلة المعرفة للجميع، رقم 34، مارس 2007

❖ ابن عبد العالي عبد السلام،التاريخانية والتحديث،دراسات في أعمال العروي،دار توبقال للنشر،الطبعة الأولى،2010.

❖ الكردي بسام، محاورة فكر عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب،الطبعة الأولى ،2000

❖ كمال عبد اللطيف، الفكر الفلسفي في المغرب، قراءات في أعمال الجابري والعروي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى 2003.

❖ محمد نور الدين جباب، إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2005.

❖ محمد خالد الشياب، لا تاريخية الوعي التاريخي وسبل تخطي تأخره عند عبد الله العروي عرض ونقد، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ،10 العدد 01، 2017، ص ص: 63-78.

❖ عبد الكبير الخطيبي، المغرب العربي وقضايا الحداثة، ترجمة مجموعة باحثين، منشورات عكاظ. المغرب.